الاسم واللقب: عبد الحليم مهورباشة

مؤسسة الانتماء: جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر.

الوظيفة: أستاذ التعليم العالي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

البريد الالكتروني: halimbacha680@yahoo.fr

عناصر الورقة البحثية:

التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران: نحو أفق معرفي جديد

مقدمة

أولا: **المتطلبات المعرفية والمنهجية في التأسيس للتكامل المعرفي بين العلوم**

1- التكامل المعرفي بين العلوم: المفهوم والدلالة

2- المتطلبات المعرفية في عملية التأسيس للتكامل المعرفي بين العلوم

3- المتطلبات المنهجية في التأسيس للتكامل المعرفي بين العلوم

ثانيا: مستويات التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران:

1- التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران على مستوى رؤية العالم

2- التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران على مستوى النموذج المعرفي

3- التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران على مستوى المنهج المركب

4- التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران على مستوى الممارسات البحثية .

خاتمة

مقدمة:

باتت قناعة راسخة لدى الباحثين في العالم العربي بضرورة التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران[1]، نظرا لعديد المعطيات الميدانية والسياقات التاريخية التي تخبر بها المجتمعات العربية، والتحولات في النماذج المعرفية والنقاشات العلمية حول المناهج العلمية في فلسفة العلوم المعاصرة، فالعلوم الاجتماعية التي ولدت في المجال التداولي الغربي، نماذجها المعرفية مُشبعة بالرؤية الوضعية إلى العالم، ومناهجها ونظرياتها ومفاهيمها مثقلة بالرؤى الثقافية والحضارية للمجتمعات الغربية، عملية نقلها إلى الفضاء المعرفي العربي لم تُثمر معرفيا ولا منهجيا، بل دخلت في صدامات معرفية مع علوم الوحي.

يشي واقع العلوم الاجتماعية في العالم العربي بأنها علوم مأزومة، بسبب فشل نظرياتها ومناهجها في تفسير الظواهر الاجتماعية والإنسانية التي تعرفها المجتمعات العربية، حيث أبانت الدراسات النقدية المعاصرة بأن هذه العلوم تعاني من تبعية فكرية وأكاديمية للعلوم الاجتماعية الغربية، فلا إبداع للمنتسبين إليها إلا عبر الاستعارة المكثفة لأدواتها المنهجية وطرائقها النظرية ومفاهيمها، بناء على هذا، طرحت بدائل معرفية لهذه العلوم، لعل أبرزها مشروع أسلمة وتأصيل العلوم الاجتماعية، ونعتقد أن الفكرة الجوهرية التي حملتها هذه البدائل، هو تحريرها من التبعية الفكرية والأكاديمية، والتفكير في كيفية وصل علوم العمران(الاجتماعية) بعلوم الوحي بمختلف فروعها(الفقه وأصوله، الدراسات القرآنية، وعلوم الحديث وغيرها).

نرى كمشتغلين في العلوم الاجتماعية إننا بحاجة إلى الانفتاح على علوم الوحي بمختلف تخصصاتها، تلك العلوم توصف في نظرية المعرفة الإسلامية بالعلوم المعيارية، تحقيقا لمبدأ التكامل المعرفي بين العلوم، الذي يسهم في إكسابها الشرعية الابستيمية داخل مجال التداول الإسلامي، كما

[1] نستخدم مصطلح علوم عمران بدلا من مصطلح العلوم الاجتماعية، وعلوم العمران : هي العلوم الاجتماعية (علم الاجتماع ، علم الاقتصاد، العلوم السياسية، علم النفس، الانثربولوجيا، علوم التربية، علم التاريخ) بعد أن يتم تقريبها تداوليا ، وتحريرها من النزعات المادية والوضعية التي تُهيمن على رؤاها المعرفية والمنهجية.

أنها تحقق آلية الخدمة، التي اشتهرت بها العلوم في التراث الإسلامي، بحيث كل علم يخدم العلم الذي يعلوه والذي يدنوه، كما يساهم هذا التكامل في إخصابها معرفيا ومنهجيا، ويؤسس لمفاهيمها ونظرياتها ومناهجها.

من هذا المنطلق، تهدف هذه الورقة البحثية إلى تبيان الشروط المنهجية والمعرفية الواجب توافرها في عملية التكامل المعرفي بين العلوم، حتى يكون تأسيسه مشروع معرفيا ومعقول منهجيا، كما تطمح هذه الورقة إلى تبيان مستويات التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران، وسنوظف المنهج النقدي التحليلي في معالجة هذه الإشكالية البحثية، ونسعى لنجيب عن التساؤلات الآتية:

1- ما مفهوم التكامل المعرفي بين العلوم؟

2- ما هي الشروط المعرفية والمنهجية اللازمة في تأسيس التكامل المعرفي بين العلوم؟

3- فيما تتجلى مستويات التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران؟

أولا: المتطلبات المعرفية والمنهجية في التأسيس للتكامل المعرفي بين العلوم:

1- التكامل المعرفي بين العلوم: المفهوم والدلالة:

أعطيت العديد من الدلالات لمفهوم التكامل العرفي، بسبب حداثة المفهوم من جهة، وعدم اكتمال عناصره البنائية من جهة أخرى، فلا يزال الجدل دائرا حول المفهوم في الحقول المعرفية الشهيرة كالابستيمولوجيا وفلسفة العلوم وعلم الاجتماع المعرفي، فالسؤال عن التكامل المعرفي بين التخصصات يثير العديد من الإشكالات المنهجية حول نجاعة استخدام هذا المفهوم، وطبيعة العلاقة بين التخصصات المعرفية، رغم أن العديد من النظريات في العلوم الاجتماعية تكشف لنا عن :"التقاطع بين مختلف التخصصات المعرفية، فنجد في النظرية الماركسية التقاطع بين الفلسفة والتاريخ والاقتصاد السياسي، وجروج هربرت ميد وظف علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة، وجمع

ليفي سراوش بين اللسانيات والانثربولوجيا، ولعب ميشال فوكو على حبل التاريخ والسيكولوجيا والفلسفة"[2].

إذا انفتح الباحثون في العلوم الاجتماعية على مختلف التخصصات المعرفية لبناء نموذج نظري ما، فإننا نجد في المجال التداولي الغربي مفهوم التكامل المعرفي تعطي له دلالة التقاطع بين التخصصات المعرفية المختلفة،" فيشير مصطلح interdiscipline إلى جمع مختلف التخصصات المعرفية حول نفس الطاولة، مثلما تجتمع الدول في منظمة الأمم المتحدة لتأكيد على الحقوق الوطنية وحماية السيادة من تعديات الدول المجاورة، لكن الجمع بين التخصصات يمكن أن نعني به أيضا التبادل والتعاون بينها، بحيث تصبح تشير التداخل بين التخصصات إلى ما هو عضوي"[3]، في المقابل، أعطى ادغار مفهوم التكامل المعرفي، بقوله: يشر مصطلح Polydiscipline الى بناء جماعة تخصصية بالاستناد إلى مشروع أو موضوعا مشترك بينها وأحيانا تستدعى التخصصات مثلما يستدعى التقنيون المتخصصون من أجل حل مشكلة ما، وفي أحيان أخرى، تشير إلى العكس من ذلك، التفاعل العميق بين التخصصات من أجل تصميم المشروع أو موضوع مشترك[4]، ومنطوق هذا المفهوم؛ التداخل او التكامل المعرفي عبارة عن تعاون مثمر بين العلوم من أجل معالجة إشكالية ما أو موضوع محدد.

يرى الباحث محمد همام أنه قد استعمل المصطلحان" تداخل المعرفة" (Interdisplinarite) و" تشابك التخصصات"Miltidiscplinarite" بمعنى واحد في المجال التداولي الغربي ، "وغالبا ما يكون المقصود في هذه الحالة هو الإشارة إلى باحثين من تخصصات مختلفة، أو مجالات متباعدة في أصلها، يتعاونون على هدف واحد، سواء كان البحث تطبيقيا أو نظريا، فعلى مستوى البحث النظري يقصد بالمصطلحين الطريقة التي يتعاون بها مجموعة من الأكاديميين من تخصصات مختلفة: علماء النفس

[2] Simon Laflamme, « Recherche interdisciplinaire et réflexion sur l'interdisciplinarité », Nouvelles perspectives en sciences sociales, vol. 7, n° 1, 2011, p50/51

[3] Edgar Moran , Sur l interdisciplinarité, LE JOURNAL DES PROFESSEURS DE L'UNIVERSITÉ DE MONTRÉAL VOLUME 7, NUMÉRO 3, MAI 2003, p10.

[4] Edgar Moran , sur l interdisciplinarité, LE JOURNAL DES PROFESSEURS DE L'UNIVERSITÉ DE MONTRÉAL VOLUME 7, NUMÉRO 3, MAI 2003, p10.

وانثربولوجيين واقتصادين وإعلاميين، لتطوير معرفة واسعة ما أو ظاهرة ما"[5]، فالتداخل المعرفي بين التخصصات يتوقف على تقاطع أكثر من تخصص: فالمتمم inter أكثر دلالة من entre، لتكن العلاقة متبادلة بين العديد من التخصصات من أجل فهم وتحليل وفهم التعقيد موضوع للدراسة مشترك، ويشر التداخل المعرفي ببساطة الى تجاوز وجهات نظر التخصص في موضوع ما[6].

وظف التكامل المعرفي بصيغة التداخل المعرفي بين العلوم التراثية الإسلامية، فاعتبر طه عبد الرحمن أن التراث الإسلامي تحكمه الصفة التداخلية بين علومه:" فالتداخل تداخلان اثنان: أحدهما: داخلي يحصل بين العلوم التراثية الأصلية بعضها البعض، والثاني خارجي يحصل بين هذه العلوم وغيرها من العلوم المنقولة، وإذا كان الأمر كذلك، فان أنسب العلوم الأربعة التداخل المعرفي، هم من جهة: علم الأصول، باعتباره نسيجا متكاملا بين معارف إسلامية متنوعة، ومن جهة ثانية، الفلسفة الإلهية باعتبارها علما منقولات اندمجت فيه بنيات معرفية تراثية أصلية."[7].

لا ينفي التكامل المعرفي صفة الوحدة بين العلوم، لكن لا يعني التطابق من الناحية المنهجية بينهما، فاستخدام أحد المفهومين يتعلق بمنهج مقاربة الاشكالية البحثية،" فيكون القول بوحدة العلوم أقرب إلى وصف العلاقة بين هذه العلوم على المستوى الوجودي(الانطولوجي)، وتتوجه المعالجة وجهة ميتافيزيقية نظرية، في حين، يكون القول بالتكامل اقرب إلى وصف العلاقة بين العلوم على المستوى المعرفي(الابسيتموووجيا)"[8] .

بناء على المفاهيم السابقة الذكر، فإننا نستخدم في هذه الورقة البحثية التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران للإشارة إلى ضرورة تجاوز الفصل بينهما، وإعادة التأسيس للتداخل

---

[5] محمد همام، التداخل المعرفي، دراسة في المفهوم، في كتاب: التكامل المعرفي، أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية، تحرير: رائد جميل عكاشة، بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص2012، ص61.

[6] Frédéric Darbellay « Vers une théorie de l'interdisciplinarité? Entre unité et diversité », Nouvelles perspectives en sciences sociales, vol. 7, n° 1, 2011, p74.

[7] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، الدار البيضاء-المغرب: المركز الثقافي العربي، 1993، ص76.

[8] فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، مقدمات في المنهجية الإسلامية، بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2011، ص59.

والتكامل بينهما، دون أن يعني ذوبان التخصصات في بعضها البعض، وتكون الفلسفة الائتمانية مرجعيته الفلسفية، والنموذج المعرفي إطاره المرجعي المنهجي، ويتجلى التكامل في أربعة مستويات: الرؤية العالم، النموذج المعرفي الإسلامي، المنهج المركب، الجماعات العلمية.

-2- المتطلبات المعرفية في عملية التأسيس للتكامل المعرفي بين العلوم:

تستلزم عملية التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران، تحديد جملة الشروط المعرفية والمنهجية اللازمة في عملية التكامل، نجملها في نقطيتين مركزيتين، وهما، الإطار الفلسفي والنموذج المعرفي، نبسط الكلام فيهما، كالآتي:

2-1- الفلسفة الائتمانية: الإطار المعرفي المرجعي للتكامل المعرفي بين العلوم:

يتطلب التأسيس المعرفي للتكامل المعرفي تأسيسا فلسفيا، لأن هذا التأسيس يتضمن جملة المبادئ التي يبني عليها هذا التكامل، والتي تجعل وجوده مشروعا معرفيا وبناؤه معقول منهجيا، فإذا اتخذ الفصل بين هذه العلوم من الفلسفات العلمانية بمختلف مذاهبها واتجاهاتها(الوضعية، الوجودية، التأويلية، الوضعية المنطقة، الظاهرتية،...) إطارا مرجعيا له، فان التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران يجعل من الفلسفة الائتمانية إطاره الفلسفي المرجعي، تلك الفلسفة التي تقوم على إعادة الوصل بين العلوم في المجال التداولي الإسلامي.

إذا كانت الفلسفة الغربية بمختلف مذاهبها تتوسل بالعقل المجرد وحده، واقعة في شبهات الانقلاب والانتكاس،"فان الفلسفة الائتمانية تنبني على العقل المؤيد، متقية مفاسد العقل المجرد وعوائق العقل المسدد: ويتضح هذا التفاوت العقلي بين الفلسفة الائتمانية والفلسفات المعهودة غير الائتمانية شأن الفلسفة الدهرانية متى قارنا بين مبادئ العقل الأولى التي تتحد بها الفلسفة غير

الائتمانية والتي هي مبدأ الهوية ومبدأ عدم التناقض ومبدأ الثالث المرفوع"[9]. بناءا على هذا، تنهض الفلسفة الائتمانية على ثلاثة مبادئ رئيسية، وهي:

-**مبدأ الشهادة:** يقوم مبدأ الهوية في الفلسفة الدهرانية على مبدأ الشيء هوهو، بينما مبدأ الشهادة الشيء هوهو متى شهد عليه غيره،"فيقوم هذا المبدأ في تقرير أن الشهادة بمختلف معانيها تجعل الإنسان يستعيد فطرته، محصلا حقيقة هويته ومعنى وجوده، بدءا بشهادة الإنسان في العالمين: الغيبي والمرئي التي يقر فيها بوحدانية الله وشهادة الخالق على هذه الشهادة"[10].

-**مبدأ الأمانة:** يقع مبدأ الأمانة على طرف النقيض من مبدأ عدم التناقض في الفلسفة الدهرانية، الذي يقتضي أن الشيء ونقيضه لا يجتمعان، بينما في الائتمانية الشيء ونقيضه لا يجتمعان متى كان العقل مسؤولا،"فيقوم هذا المبدأ في تقرير أن الأمانة بمختلف وجوهها تجعل الإنسان يتجرد من روح التملك، متحملا كافة مسؤولياته التي يوجبها كمال عقله، بدءا بالمسؤولية عن الأفعال وانتهاء بالمسؤولية عن الناس والمسؤولية عن سواهم من الكائنات الحية والمسؤولية عن الأشياء"[11].

-**مبدأ التزكية:**"يقوم هذا المبدأ في تقرير أن التزكية بمختلف مراتبها خيار لا ثاني له يجعل الإنسان يجاهد نفسه للتحقق بالقيم الأخلاقية والمعاني الروحية المنزلة، ابتغاء لمرضاة الخالق جل جلاله، وحفظا لأفضلية الإنسان في الوجود"[12]، ويترتب على هذا المبدأ أن الإنسان ماهية أخلاقية، لذلك،" واجب الإنسان، في العالم الائتماني، أن يطلب التقدم المعنوي كما يطلب التقدم المادي، بل واجبه أن يجعل التقدم المادي تابعا للتقدم المعنوي، وإلا لا تقدم في إنسانيته"[13].

---

[9]طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر،ط1، 2016، ص14.

[10]المرجع السابق، ص14.

[11] المرجع السابق، ص15.

[12] المرجع السابق، ص16.

[13] المرجع السابق، ص17.

تعتبر هذه المبادئ الفلسفية بمثابة الأعمدة المعرفية التي ينبني عليها التكامل المعرفي بين العلوم، فبناء على المبادئ الثلاث: مبدأ الشهادة ومبدأ الأمانة ومبدأ التزكية،"يتبين أن الفلسفة الائتمانية تستمد عقلانية التأييد من النصوص المؤسسة للتراث الإسلامي، متضمنة لفئات ثلاث هي: فلسفة الشهادة وفلسفة الأمانة وفلسفة التزكية، لذلك كانت جديرة بأن توصف بأنها فلسفة إسلامية حقيقية"[14]، وبالتالي، ينسج التكامل المعرفي بين العلوم شبكة مفاهيمه ومناهجه ونظرياته على أساس هذه المبادئ المحورية.

3-2- النموذج المعرفي الإسلامي : إطار منهجي مرجعي للتكامل المعرفي بين العلوم:

يشغل النموذج المعرفي مكانة مميزة في الدرس الابستيمولوجي المعاصر، باعتباره أداة منهجية تمكننا من دراسة تاريخ تطور العلوم من جهة، وأداة منهجية في دراسة الظواهر في العلوم، من جهة أخرى، وعرف هنري ألتان النموذج على أنه: "مجموعة من الأفكار، هو مفاهيم تشكل الإطار المرجعي للفكر، وتنظم الأبعاد التجريبية للمعرفة، وتفسر النتائج وتتيح لنا صياغة النظريات"[15]. وهنا، يتم توظيف النموذج كإطار معرفي مرجعي يتبناه الباحثون في دراسة الظواهر وتحليلها وتفسيرها.

تُهيمن النماذج المعرفية على الباحثين في حقل معرفي ما، وتتحول مع مرور الوقت فرضيات النموذج ومناهجه إلى طريقة تفكير منهجية يتبعها الباحثون في دراسة الظواهر المختلفة، وتصل إلى مستوى منظومة فكرية، وكما نعلم، أن كل منظومة فكرية لها عدد:"من المسلمات التنظيمية الذاتية- البيئية- المجددة التي تضمن وحدتها وهويتها واستقلاليتها واستمراريتها فتمكنها من تحويل وتغيير واستيعاب المعطيات التجريبية التي تدخل ضمن صلاحيتها؛ وتتكاثر من خلال العقول/الأدمغة في الظروف الاجتماعية- الثقافية الملائمة"[16].

---

[14] المرجع السابق، ص19.

[15] Gay Runlhard ; problématisation et conception de paradigme, approche épistémologique, ASTER, n°40,2005, problème et problématisation, Lyon, p206

[16] ادغار موران، المنهج، الأفكار: مقاماتها، وحياتها وعاداتها وتنظيمها، ترجمة: جمال شحيد، ج4، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2012، ص205.

يعد النموذج المعرفي الوضعي الإطار المرجعي للعلوم في المجال التداولي الغربي، ونجد أهم مبدأ معرفي يقوم عليه، هو استبعاد الوحي من مصادر المعرفة، وكذلك يتصف بالرؤية المادية للوجود بشقيه الاجتماعي والطبيعي، وينهض هذا النموذج على فكرة الفصل بين العلوم والمعارف، وبالتالي، التكامل المعرفي بين العلوم الذي نطمح إليه لا ينهل من هذا النموذج الوضعي، وإنما ينهل من مبادئ وأسس النموذج المعرفي الإسلامي، ونقصد بالنموذج على وجه الإجمال،"منهجية متعبة ورؤية محددة للعالم، مثلا نظرية نيوتن في الجاذبية أنموذج، ونظرية انشتاين انموذج آخر، مقابله في الانجليزي "Paradigm"[17].

يقوم النموذج المعرفي الإسلامي على مبدأ التكامل بين العلوم، حيث تتكامل العلوم وتتداخل فيما بينها تحقيقا لمبدأ التوحيد المركزي.، كما أن التكامل مبدأ منهجي في غاية الأهمية، يؤسس لتصورات جديدة للعلم ولمفهومه ولطرائقه البحثية،"فالتكامل بين ثلاثة مستويات متضايفة متلازمة، هي التكامل بين مصدري المعرفة: الوجود والوحي، والتكامل بين أداتي المعرفة : العقل والحس، والتكامل بين المصادر والأدوات، وقد ارتبط هذا المفهوم بالجمع بين القراءتين، قراءة الوحي وقراءة الوجود، أو قراءة الكتاب المسطور وقراءة الكتاب المنظور"[18]، وبناء على هذا، يتحقق التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران، ويُمكننا أن نوظف التكامل كإجراء منهجي في دراسة الظواهر العمرانية والإنسانية والدينية.

يقوم النموذج المعرفي الإسلامي على مبدأ جوهري يتمثل في الغائية الأخلاقية للعلم، أو ما سماه علماؤنا في التراث الإسلامي بمفهوم العلم النافع، فلا وجود لعلم من أجل العلم، أو علم من أجل الاستماع النظري بالقضايا الفكرية، كما حدث في المجال التداولي اليوناني، عندما جعلوا التأمل

[17] طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2016، ص30.

[18]- فتحي حسن الملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2011، ص291.

الفكري فضيلة إنسانية. فكل علم لا يترتب عليه عمل باطل في تراثنا المعرفي الإسلامي،" فالعلم مبدأ للعمل، والعمل تمام العلم، ولا يرغب في العلوم الفاضلة إلا لأجل الأعمال الصالحة، لو جعل الله تعالى الجبلة البشرية مقصورة على تحصيل العلم دون تقويم العمل أمرا زائدا، وإما تبعا عارضا، لولا أنها كانت كذلك لما كان عدمها ليخل في عمارة العباد، وسياسة العباد"[19]، من هذا البعد العملي أو التطبيقي للعلوم، يسهم التكامل المعرفي بين علوم العمران وعلوم الوحي في عملية الإعمار الكوني وفق الرؤية التوحيدية إلى العالم، عن طريق إجراء الدراسات والأبحاث التي تهدف إلى التنظيم الاجتماعي والإنساني والحضاري وفق الرؤية التوحيدية، وتساعد هذه الدراسات الإنسان المسلم على تأدية الأمانة ورسالة الاستخلاف الحضاري[20].

في نفس السياق، لا وجود لعلم بدون ضابط أخلاقي، كما هو حاصل في المجال التداولي الغربي، حيث تحرر العلم من كل ضابط قيمي، وراح تحت النزعة البراغماتية يجري أبحاث ودراسات، نتائجها أضرت بالإنسانية أكثر مما نفعتها[21]، لذلك علوم العمران تنضبط بالرؤية الأخلاقية الإسلامية للعلوم،"فالشاهد على ذلك وجود مفهومين أساسين في الممارسة العلمية الإسلامية أحدهما العلم في مقابل العلم الضار[...]والثاني العلم المستعمل، والمراد به العلم الذي ثبت العمل به على مقتضى هذه القواعد"[22].

---

[19] أبو الحسن العامري، كتاب الإعلام بمناقب الإسلام، بقلم: أحمد عبد الحميد غراب، الرياض: مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والعلام، ط1، 1988، ص75.

[20] أنظر: عبد الحليم مهورباشة، التكامل المعرفي بين العلوم الاجتماعية، نحو طرح ابستيمولوجي جديد، بيروت: منتدى المعارف، 2021.

[21] أنظر: زيغمونت باومان، الحداثة والهلوكوست، ترجمة: حجاج أبو جبر، مصر: مدرات للأبحاث والنشر، ط1، 2014.

[22] طه عبد الرحمن، سؤال العمل، بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، الدار البيضاء- المغرب: المركز الثقافي العربي، ط1، 2012، ص233.

ثانيا: مستويات التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران:

1- التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران على مستوى رؤى العالم:

أول مستوى للتكامل المعرفي بين العلوم يكون على مستوى الرؤية إلى العالم، فتشير الدراسات الحديثة في فلسفة العلوم، أن مفهوم رؤية العالم يتداخل في مختلف حقول المعرفة: الفلسفة، والعلوم الاجتماعية والطبيعية،"فالمصطلحات الدينية مثل الإيمان والعقيدة والتصور الكلي تعبر عن مجموعة الأفكار والمفاهيم والمعتقدات التي تجيب عن الأسئلة الوجودية الكبرى التي يحاول مصطلح «رؤية العالم» التعرض لها. وهي نفسها الأسئلة التي انشغلت بها الفلسفة منذ بداية عهد الإنسان بميادينها. وهي المحتوى الأساسي لفلسفة أي علم من العلوم الحديثة الذي يؤثر في تشكيل نظريات هذه العلوم ومناهج البحث فيها"[23]، هذا ما يدفعنا إلى طرح السؤال: ما طبيعة رؤية العالم التي تؤسس للتكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران؟

تعتبر الرؤية التوحيدية هي الرؤية العالم التي ينهض عليها النموذج المعرفي الإسلامي، فمن المعلوم، يعد التوحيد القيمة العليا في مقاصد القرآن الكريم،" فالتوحيد هو قمة الهرم في هذه المنظومة القرآنية، عنه تتفرع سائرها، وعليه يقوم بناؤها، والتوحيد الذي يأخذ هذا الموقع لأمن هذه المنظومة، هو ذلك الذي جاء القرآن به نقيا خالصا سليما من سارئة الشوائب، فلو شابته أو خالطته الأخلاط فقد نقاءه، وبطلت فاعليته، أو ضعفت أثراه وانطفأت جذوته، وتوقفت تجلياته"[24]. أما التوحيد باعتباره مبدأ في المعرفة، فيرى الفاروقي أن لباب التوحيد بوصفه مبدأ المعرفة،"هو الإقرار بأن الله تعالى هو الحق، وأنه واحد لا شريك له. ويستبطن هذا الإقرار وجوب رد أمر البث في كل

[23] فتحي حسن الملكاوي، رؤية العالم عند عبد الرحمن بن خلدون، مجلة الكلمة، متوفر على الرابط:
http://kalema.net/home/article/print/738

[24] طه جابر العواني. التوحيد والتزكية والعمران، مرجع سابق، ص11.

خلاف، إليه سبحانه وتعالى، وبأنه لا دعوى تستعصي على المعايرة والبت القاطع فيها، والتوحيد إقرار بأن الحقيقة قابلة لأن تعرف، وان بوسع الإنسان أن يصل إليها"[25].

من هذا المنطلق، إذا اعتبرنا أن التوحيد كرؤية وجودية للعالم، فانه يؤسس في مجال التكامل بين علوم العمران وعلوم الوحي لثلاثة مبادئ معرفية رئيسية، تعد بمثابة الأعمدة التي ينهض عليها التكامل المعرفي. يأتي في مقدمتها التوحيد كرؤية إلى العالم، فالرؤية إلى العالم كما ذكرنا منذ قليل، متشابكة بعمق في فلسفة العلوم ، فإذا نهضت العلوم في المجال التداولي الغربي على رؤى مادية إلى العالم، فإن العلوم في المجال التداولي الإسلامي يعتبر التوحيد رؤيتها إلى العالم،"فالرؤية العالم بوصفها أساسا كامنا، وطريقة في التحليل وموضوعا للدراسة –متشابكة بعمق في فلسفة العلوم الاجتماعية ونظرياتها وطرق بحثها، ويتداخل مفهوم رؤية العالم مع بعض الأدوات المنهجية المعرفية التي يستخدمها المفكر والباحث في تحليل الظواهر والوقائع والأفكار، بهدف تمكينه من رؤية كلية للموضوعات المتفرقة، ارتباط الكلي بالجزئي، والعام والخاص، حتى يتحقق الإحاطة بالظاهرة موضوع الدراسة ويتحصل الإدراك الشمولي لها، فالعلاقة بين رؤية التفاصيل والرؤية الكلية ليس بالعلاقة السطحية البسيطة، وإنما هي علاقة تفاعلية جدلية معقدة"[26] .

وبناءا على الرؤية التوحيدية إلى العالم، يمكننا تقديم تصورات ومفهومات تتعلق بالوجود والكون والإنسان، تختلف جذريا عن تلك التي هيمنت على العلوم الغربية، فكما نعلم، في المجال التداولي الغربي، حيث حل العلم محل الدين بوصفه مرجعا فكريا أولا ومحددا وحاكما وراعيا للنظرة الحضارية ثانيا،"حل عقل الإنسان والرصد التجريبي محل العقيدة اللاهوتية والوحي الكتابي المقدس، بوصفها الوسيلة الرئيسية لفهم الكون بالتدريج، تمت تجزئة ميداني الدين والميتافيزيقا إلى أقسام وعدا من الأمور الشخصية والذاتية، التأملية المتميزة عن المعرفة الموضوعية العامة للعلم التجريبي،

[25] إسماعيل راجي الفاروقي. التوحيد ومضامينه في الفكر والحياة، ترجمة: السيد عمر، هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2016، ص90.

[26] فتحي حسن الملكاوي. رؤى العالم والعلوم الاجتماعية، بيروت: مجلة إسلامية المعرفة، العدد45، السنة13، ص54.

بات العقل والإيمان مفصولان تماما ونهائيا، والتصورات المنطوية على أي واقع متعالي باتت تعد على نحو متزايد فوق مستوى قدرة الإنسان على المعرفة."[27]. فاستبعدت العلوم الاجتماعية الغربية الدين من مصادر المعرفة، واعتبرته أحد الأشكال الثقافية والاجتماعية للمجتمعات الإنسانية، ونزعت عنه طابعه المقدس، وأخضعته للدراسة الوضعية.

الأساس الثاني الذي يقدمه التوحيد في مجال التكامل بين العلوم، فكرة البعد الوجودي للمعرفة، فالعلوم في المجال التداولي الغربي قامت على نظرية المعرفة المادية، التي تجعل من الوجودي يتبع الابستيمولوجي، في حين أن الابسيتمولوجيا الإسلامية تتبع البعد الوجودي(الانطولوجي)، وليس العكس، وهذا المبدأ الوجودي؛ يمثله التوحيد كرؤية إلى العالم،" فالمبدأ الأساسي في الكونية الإسلامية التي تقوم على الألوهية هو عقيدة التوحيد (لا اله إلا الله) ومضمونها الإلهي، ويمثل هذا المبدأ حلقة الوصل الرئيسة بين النظرية والتطبيق، أو الايمان والحياة، أو المقال والواقع في الإسلامية الكلية للعالم"[28].

هذا الأمر المنهجي تنبه له الباحث أحمد داود أوغلو في دراسته المقارنة بين النظم السياسية من منظور إسلامي والنظم السياسية من منظور غربي، وتوصل إلى النتيجة التالية،" من الممكن أن تكون العلاقة وطيدة بين الانطولوجيا ونظرية المعرفة ومبحث القيم والسياسية نقطة ارتكاز مفيدة لفهم التنافر بين الأسس النظرية والفلسفية للنظرية السياسية والأطر الثقافية الإسلامية من ناحية ، ومثيلاتها الغربية من ناحية أخرى، إذ أن الفارق الأساسي بين النظرة الإسلامية إلى العالم والنظرة العربية يمكن في التناقض بين نظرية المعرفة الإسلامية المحددة وجوديا، و الوجود المحدد بنظرية المعرفة في التراث الفلسفي الغربي."[29]،" فالتوحيد قبل ذلك وبعده يبني للإنسان المنهج العلمي، والنظام

---

[27] ريشارد تارناس. آلام العقل الغربي، ترجمة فاضل جنكتر،، أبو ظبي: دار العبيكان، ط01، 2010، ص341- 345.

[28] أحمد داود اوغلو. الفلسفة السياسية، ترجمة: ابراهيم البيومي غانم، تقديم: محمد عمارة، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2006، ص16.

[29] المرجع السابق، ص15.

المعرفي يحدد له كل ما يتعلق بالمعرفة، بدءا بالمنهج والنموذج، وفلسفة المعرفة وتاريخها وتصنيفها، ومصادرها، وانتهاءا بوظائف العلم والمعرفة في حياة الإنسان والمجتمع"[30].

ومن فكرة تبعية الوجودي للمعرفي في نظرية المعرفة الإسلامية، تتعدد مصادر المعرفة، وهذا يعني أن على العلوم تأخذ بالقرآن الكريم كأحد مصادر المعرفة، بالإضافة إلى الكون بشقيه الطبيعي والاجتماعي كمصادر للمعرفة، " فأهم ما أسس القرآن فيما يتعلق بالعلوم ليس هو ذكر تفاصيلها أو كلياتها، وإنما أهم ما أسس القرآن هو الرؤية القرآنية الكلية التي تؤطر ذلك، وهذه الرؤية الكلية القرآنية التي تربط بين العالم الغيب والشهادة ربطا وثيقا من الاستحالة بمكان على العقل البشري أن يقوم ببنائها بمعزل من الوحي، ومعلوم أن الوجود ليس مادة مجردة: إذ هناك من الأمور الغيبية المتعلقة بالإنسان ما لا يمكن أن يتناله العلم في إطاره المادي المجرد إطلاقا وذلك نحو المبدأ والمصير والغاية العليا من الخلق فضلا عن معرفة الخالق نفسه وتدبيره"[31].

يتجلى الأساس المعرفي الثالث للتوحيد في التكامل المعرفي في ثنائية الوجود؛ عالم الشهادة وعالم الغيب، ما يعني ثنائية مصادر المعرفة في العلوم في المجال التداولي الإسلامي،" إذ يبدو جليا أن تأثير المبادئ العلوية المستمدة من معين الوحي لا يقتصر هنا على تزويد الباحث بمقدمات ما ورائية وحوافز فحسب، بل يشمل أيضا توفير عناصر تنظيرية أساسية لهذا النوع من العلوم. ولعل من أقرب الأمثلة التي توضح أهمية معطيات الوحي في تطوير الفكر الاجتماعي مبدأ المساواة الذي يشكل الأساس الذي يقوم عليه التنظير السياسي المعاصر"[32]، وعلى هذا الأساس، تنطلق جهود الباحث الاجتماعي من مقدمات" علوية نظرية تشكل القاعدة الغيبية والأساس المعياري للبحث العلمي. فيزودنا القرآن الكريم بتوجيهات عديدة وإشارات كثيرة تساعد في تعيين الغايات الكلية للوجود الإنساني وعلاقته بمحيطه

---

[30] طه جابر العلواني. القيم بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية في المنهج المعرفي القرآني، في كتاب: القيم في الظاهرة الاجتماعية، تحريري: نادية محمود مصطف وآخرون، القاهرة: درا البشير للثقافة والعلوم، ط1، 2011، 112.

[31] جمال الدين عبد العزيز شريف. علاقة القرآن بالعلوم، السودان: مجلة تفكر، مجلد11، ع2، ص140.

[32] لؤي الصافي. نحو منهجية أصولية للدراسات الاجتماعية، مجلة اسلامية المعرفة، العدد الاول، 1995، ص39.

التاريخي، وعلاقة الفعل الإنساني بالفعل الإلهي، كما يزودنا باشراقات هامة لتحديد البنية الأساسية للطبيعة الإنسانية"[33].

2- التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران على مستوى النموذج المعرفي الإسلامي:

يعتبر النموذج المعرفي الإسلامي الإطار المنهجي للتكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران، أو كما وسمته الباحثة منى طريف الخولي بالنموذج النموذج الإرشادي الإسلامي، وعرفته بقولها:" إطار مرجعي وبلورة للوعي المنهاجي الذي ينبغي أن يشيع بين باحثينا مفكرينا، لينشر مناخا عاما تتنامى فيه فعاليات عقل الأمة ويشكل جوهر وعيها بالمنهج والشرعة والطريق، وتتضافر فيه الجهود اللازمة لبناء الفعالية العلمية المرجوة والمشروع الحضاري المنشود"[34].

إذا كان النموذج المعرفي الغربي ينكر الآمرية الإلهية، فان النموذج المعرفي الإسلامي يقر بهذه الآمرية باعتبارها الأصل في وجود القواعد الأخلاقية، بل يقر بصفة الإلهية أخرى تقارنها وهي ما نسيمه الشاهدية، جاعلا منها أساس عملية التخلق الإنساني"[35]، يسهم هذا المبدأ في بناء التكامل بين علوم العمران وعلوم الوحي انطلاقا من الآمرية الإلهية، التي استبدلتها العلوم في النموذج المعرفي العربي بآمرية الفرد، أو آمرية المجتمع أو آمرية الثقافة[36]، وبناء على هذا، يتحقق التكامل على مستوى:

التكامل على مستوى مصادر المعرفة في النموذج المعرفي الإسلامي، قامت العلوم في المجال التداولي الغربي على نظرية المعرفة الطبيعية، التي تجعل من مبحث الوجود (الانطولوجيا) تابعا لمبحث المعرفة (الابستيمولوجيا)، فان في المعرفة الإسلامية يتبع مبحث الوجود(الانطولوجيا) مبحث المعرفة (الابستيمولوجيا)، فهناك ثلاثة ركائز أساسية لمعرفة الابستيمولوجيا الإسلامية، تتمثل في:" أ-العلاقة

---

[33] لؤي الصافي. اعمال العقل من النظرة التجزئية الى الرؤية التكاملية، دمشق: دار الفكر، 1998، ص298.

[34] يمنى طريف الخولي، نحو منهجية علمية اسلامية، توطين العلم في ثقافتنا، بيروت: المؤسسة العربية للفكر والابداع، 2017، ص70.

[35] طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2014، ص93.

[36] انظر: عبد الحليم مهورباشة، "طه عبد الرحمن ونقد النموذج الاجتماعي الأخلاقي عند إميل دوركايم"، مجلة إضافات، العدد 39/38، 2017.

الاعتمادية بين الوجود والمعرفة، والتي تؤدي إلى علم معرفة محدد وجوديا(الابسيمتو-أنطلوجيا)، ب- الاختلاف في المستويات المعرفية،ج- الموائمة بين مصادر المعرفية للوصول إلى وحدة الحقيقة"[37]، على هذا الأساس، ينبني التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران، متجاوزا تلك الثائيات التي تضع الذاتي في مقابل الموضوعي، والديني في مقابل اللاديني، والكمي في مقابل الكيفي، والفرد في مقابل المجتمع في النموذج المعرفي الغربي.

يقر مبحث الوجود في الرؤية التوحيدية بثلاثة مراتب وجودية: الله والإنسان والطبيعة، وهناك علاقة تفاعل بين هذه العوالم، وعلى أساسها تبنى المعرفة في النموذج المعرفي الإسلامي، وتحدد طبيعة المنهج العلمي في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، وهذا التصور مناقض تماما للنظرية المعرفة الغربية، لأنها تنكر مبدأ الالوهية من البداية، وتعتقد أن الوجود يضم: الإنسان والطبيعة، لذلك جعلت من الوجود مبحث تابع لمعرفة[38]، لذلك، الفارق الأساسي بين النظرة الإسلامية إلى العالم والنظرة الغربية:"يكمن في التناقض بين نظرية المعرفة الإسلامية المحددة وجوديا، و الوجود المحدد بنظرية المعرفة في التراث الفلسفي الغربي."[39].

من هذا المنطلق، تتعدد مصادر المعرفة في نظرية المعرفة الإسلامية، وهذا يوجب ضرورة التكامل بين علوم العمران وعلوم الوحي، فأهم ما أسس له القرآن فيما يتعلق بالعلوم، ليس ذكر تفاصيلها أو كلياتها،"هذه الرؤية الكلية القرآنية التي تربط بين العالم الغيب والشهادة ربطا وثيقا من الاستحالة بمكان على العقل البشري أن يقوم ببنائها بمعزل من الوحي، ومعلوم أن الوجود ليس مادة مجردة: إذ هناك من الأمور الغيبية المتعلقة بالإنسان ما لا يمكن أن يناله العلم في إطاره المادي المجرد

---

[37] أحمد داود اوغلو، النموذج البديل، أثر تباين الرؤى المعرفية الإسلامية والغربية في النظرية السياسية، ترجمة: طلعت فاروق محمد، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2019، ص128.

[38]أول من أسس لهذا التصور في المجال التداولي الغربي الفيلسوف رينيه ديكارت، صاحب الكوجيتو الشهير: أنا أفكر أنا موجود، حيث أعطى أسبقية للذات العارفة على الوجود.

[39] المرجع السابق، ص15.

إطلاقا وذلك نحو المبدأ والمصير والغاية العليا من الخلق فضلا عن معرفة الخالق نفسه وتدبيره"[40]، على هذا الأساس، تنهل علوم العمران وعلوم الوحي من مصادرة معرفية متعددة، وتحكمها رؤية تكاملية.

3- التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران على مستوى المنهج المركب:

المستوى الثالث الذي يتجلى فيه التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران، يكون على مستوى المنهج، ولا نقصد هنا بالمنهج في أبعاده الإجرائية، وإنما الجانب الميثدولوجي أو ما يسمه الباحثون بميتا المنهج، أي المقدمات المنهجية التي ترتقي الى مسملات غير قابلة للنقاش، نرى ان المنهج لمركب، حيث يقوم المنهج التركيب على مبدأ المركب/ المعقد،"فتعني كلمة مركب complexus ما تم نسجه ككل، وبالفعل، يوجد مركب حيثما تم وصل مختلف العناصر المكونة للكل(كالاقتصادي والسياسي والسوسيولوجي والنفسي والوجداني والأسطوري)، ولكما تم الأخذ بعين الاعتبار علاقة الترابط والتفاعل والارتداد بين موضوع المعرفة وسياقه بين الجزء والكل، بين الكل والأجزاء، والأجزاء والأجزاء فيما بينها"[41]، أما التعقيد فهو؛"النسيج: ما نسيج الكل، من المكونات المتنافرة المجمعة بشكل يتعذر معه التفريق بينها، انه يطرح مفارقة الواحد المتعدد[...]الفعل التعقيدي هو النسيج من الأحداث والأفعال والتفاعلات والارتدادات والتحديات والمصادفات التي تشكل عالمنا الظاهراتي"[42].

ينهض المنهج المركب على فكرة تعددية المناهج في دراسة الظواهر الاجتماعية والدينية والطبيعية، التي تختلف جذريا عن وحدة المنهج بين العلوم،"فالحاجة المسماة إلى روابط بين المناهج المختلفة قد ترجمت بطور تعددية المناهج والبينمناهجية حوال أواسط القرن العشرين. تختص تعددية مناهج في آن واحد لموضوع واجهه يتعلق بالمنهج واحد نفسه. أما البينمناهجية فتطمح إلى شيء مختلف

---

[40] جمال الدين عبد العزيز شريف. علاقة القرآن بالعلوم، السودان: مجلة تفكر، مجلد11، ع2، ص140.

[41] ادغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة: عزيز لرزق ومنير حجوبي، المغرب: دار توبقال، ط1، 2002، ص37.

[42] ادغار موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة: احمد القوصوار، ومنير الحجوجي، ط1. المغرب: دار توبقال، 2004.، ص17.

تعددية المناهج . أنها تتعلق بنقل الطرائق من منهج إلى آخر"[43]، بناء على هذا، يمكننا تشيغل بعض مبادئ المنهج المركب في عملية تأسيس التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران، مع التأكيد على تعددية مصادر المعرفة في النموذج المعرفي الإسلامي، فنكون ملزمين بتأسيس منهج يمكننا الجمع فيه بين مصدر المعرفة ممثلا في الوجود الاجتماعي، على اعتبار أن علوم العمران يدرس الظواهر العمرانية في الوجود الاجتماعي، والمصدر الثاني ممثلا في الوحي الرباني، لذلك نحتاج إلى منهج؛ يخالف المنهج المركب في بعض تفاصيله ومبادئه.

المنهج المركب الذي طرح في فلسفة العلوم المعاصرة على وجاهته المعرفية، فإننا نعتقد انه أسقط من مبادئه المعرفة الدينية، نظرا لتشبعه بمنهجية الفلسفة الوضعية، التي تقصي الدين من دائرة المعرفة، فالمعرفة ليست شأنا محايدا،"وإنها في الواقع يمكن أن تكون مشربة بروح ومحتوى معينين يتنكران في ثوب المعرفة، ومن ثم فهي بشكلها العام ليست في الواقع معرفة حقيقية وصحيحة، وإنما هي تفسير وتأويل للحقائق من خلال منشور الحضارة الغربية ووفقا لرؤيتها الكلية للوجود ونظرتها العقلية للحقيقة ولإدراكها النفسي للوجود"[44]، لذلك، من خصوصيات المنهج المركب أن يصل بين المعرفة والدين، بعد أن قطعت المنهجية الوضعية الصلة بينهما في المجال التداولي الغربي.

نرى أن ما طرحه الحاج حمد عن منهج الجمع بين القراءتين، يمكننا البناء عليه، فدعى إلى توليد ناظم منهجي(نموذج معرفي) من القرآن الكريم، يستوعب الجدليات الثلاث: الغيب والطبيعة والإنسان، ويتجاوز الإحالات الفلسفية المادية، ويتم توظف الناظم المنهجي في دراسة مختلف الظواهر الطبيعة والإنسانية، ووظيفة الناظم المنهجي شبيه بالوظيفة التي أعطاها المسيري للنموذج كأداة بحثية، فإذا أحسن الباحثون استخدماها فإنها تعينهم على الاقتراب من الحقيقة وملامسة نورها، فيستمد النموذج :"ديناميكته من طبيعته التي تجمع ما بين الفلسفة ، والمنهج، والأدوات، فهو نموذج فلسفي

---

[43]بسراب نيكولسكو، العبر مناهجية، بيان، ترجمة: ديمتري اقييرينوس، (دمشق: دار مكتبة إيزيس، 2000)، ص55/54.

[44] سيد محمد نقيب العطاس، مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، ترجمة: محمد الطاهر الميساوي، ماليزيا: المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، ط1، 2000، ص155.

/منهجي/فلسفي/أدواتي، أي انه ينطلق من كليات فلسفية ليقدم منهجا للتعامل مع الواقع، وفي نفس الوقت يحدد أدوات هذا المنهج التي استخدمها الباحث فإنها تقوده إلى طريقة إلى الحقيقة"[45] .

قضية التركيب بين منهجية التشيؤ(الوضعية) ومنهجية الخلق(الكونية)، حيث توقفت الفلسفات الوضعية في مرحلة التشيؤ ولم تتجاوزها، بسبب إقصائها للعالم الغيب من مناهجها النقدية والتفكيكية، فأولى خطوات الجمع بين القراءتين أن يستوعب الباحث الإشكاليات المنهجية والمعرفية "التي تأخذ بخناق فلسفة العلوم الطبيعة والإنسانية في الواقع بمنطق نقدي تحليلي، ثم يحيل تساؤلاته في مجال العلوم على القرآن لا ليبحث عن التعارض و التوافق ولكن ليبحث عن الفهم الكوني الذي يأخذ بالأبعاد الثلاثة في مركبات العلوم(جدلية الغيب والإنسان والطبيعة)..."[46]، لذلك علوم العمران عليها أن تتجاوز منهجية التشيؤ، و بلغة أخرى تتجاوز الدراسات الاجتماعية الوضعية لظواهر الاجتماعية والإنسانية، باتجاه منهجية الخلق، عندما يتناول الغايات القصوى لهذه الظواهر العمرانية.

فالمنهج المركب ، ليس معناه القطيعة مع ما طورته منهجية العلوم الاجتماعية في المجال التداولي الغربي، وإنما علينا أن نستوعبه ونتجاوزه،"فالوحي الإلهي المطلق، المهمين على العلم المحيط بالمعرفة، المعادل للوجود الكوني كله سوف يكون قادرا على احتواء ما بلغته الحضارة المعاصرة، وتنقيتها وإنقاذها مما يتهددها ويتهدد البشرية كافة بمنهجية " الجمع بين القراءتين قراءة القرآن المسطور والكون المنثور..."[47]، هنا، المنهج المركب يحقق التكامل بين قراءة الوحي وقراءة الوجود الاجتماعي.

أوضحت سورة العلق منهج التكامل بين القراءتين:" **الأولى:** القراءة الغيبية –بالله- سبحانه خلقا مؤطرة بنظرة كونية عبادية ،**الثانية:** قراءة موضوعية بالقلم وهي مجال الاستقراء والاستدلال وكافة مناهج المعرفة البشرية"،"اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم

---

[45] نصر محمد عارف، النماذج المعرفية عند المسيري وكون، في كتاب: في عالم عبد الوهاب المسيري، حوار نقدي حضاري، المجلد الأول، تحرير: احمد عبد الحليم عطية، مصر: دار الشروق، ط1، 2004، ص193.

[46] محمد أبو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والطبيعة والإنسان، العالمية الإسلامية الثانية، بيروت: دار الهادي، ط1، 2004، ص107.

[47] المرجع السابق، ص9.

بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم " سورة العلق(5/1) "[48]،طبيعة القراءة الأولى التي تحتكم إلى النص القرآني وليس إلى تأويلات البشر لهذا النص الرباني، فالقراءة الأولى ليست عرفانية، "ولا من قبيل الكشف الصوفي والاستنارة "البوذية " مثلا ، ولكنها قراءة "مقيدة " إلى النص القرآني وفق الاستخدام الإلهي المميز لمفردات اللغة العربية بمنطق السني اصطلاحي دقيق وهذا مساق قائم بذاته في إسلامية المعرفة"[49].

أما عن طبيعة علاقة القراءة الأولى بالثانية هي علاقة تكامل معرفي، بمعنى ما تصل إليه القراءة الثانية يكون بالضرورة تحت هيمنة القراءة الأولى في علاقة تداخليه مركبة، فلا يجوز الفصل بينهما، وإلا تركنا العقل المجرد يعود إلى تأويلاته المادية للوجود نافيا أية صفة غيبية عنه،" فتعتبر القراءة الأولى بوصفها كونية تتعالى إلى المطلق هي القراءة المهيمنة على القراءة الثانية (بالقلم الموضوعي) التي تنطلق من مناهج الاستدلال والاستقراء يتمكن الإنسان من قوى الوعي الثلاثية في الاستدلال، وإفادته الموضوعية من مناهج الاستقراء التي تعتمد على التفكيك والتحليل"[50].

من هذا المنطلق، يقوم المنهج المركب على القراءة الأولى التي تكون للوحي الإلهي، نستنبط منه كل ما له علاقة بالعمران البشري، فكثيرة هي الآيات التي تتحدث أن نشأة الأمم وزوالها، وتتناول المجتمعات والانحرافات التي وقعت فيها، وتكون القراءة الثانية من خلال الدراسة الوصفية للظواهر العمرانية كما هي في الوجود الاجتماعي، ثم، يولف الباحث بين القراءتين،"فالتاريخ –أو بلغة القرآن- أيام الله- هو المصدر الثالث للمعرفة حسبما ورد في القرآن، فمن أهم التعاليم القرآن أن الأمم تحاسب بمجموعها ككل، ولكي يؤكد القرآن هذا القول فانه يسوق باستمرار أمثلة تاريخية، ويحض القارئ على التفكر والتأمل والاعتبار الماضي وحاضر تجارب البشرية"[51]، هنا، من العلوم القريبة التي تخدم علم العمران في المجال التداولي الإسلامي؛ علوم القرآن، وعلوم تفسير القرآن، لأنها تمده بشروح

---

[48] محمد أبو القاسم حاج حمد، استيمولوجية المعرفة الكونية، إسلامية المعرفة والمنهج، مرجع سابق، ص381.

[49]- محمد أبو القاسم حاج حمد، استيمولوجية المعرفة الكونية، إسلامية المعرفة والمنهج، مرجع سابق، ص382.

[50]- محمد أبو القاسم حاج حمد، استيمولوجية المعرفة الكونية، إسلامية المعرفة والمنهج، مرجع سابق، ص382.

[51]– محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف عدس، القاهرة: دار الكتاب المصري، ص230/229.

لمختلف الآيات القرآنية التي تتناول النواميس الكونية الناظمة للاجتماع الإنساني، "فيزودنا القرآن الكريم بتوجيهات عديدة وإشارات كثيرة تساعد في تعيين الغايات الكلية للوجود الإنساني وعلاقته بمحيطه التاريخي، وعلاقة الفعل الإنساني بالفعل الإلهي، كما يزودنا باشراقات هامة لتحديد البنية الأساسية للطبيعة الإنسانية"[52].

يوجد أسلوب آخر لتحقيق التكامل بين القراءتين، يتمثل في قراءة القيم المركزية التي تحكم العمران البشري، هذه القيم يتم استنباطها من الوحي(القرآن والسنة)، وتساهم علوم الفقه وعلوم المقاصد في تحديدها، باعتبارها من العلوم في المجال التداولي التي تهتم بالقيم القرآنية، وتتمثل القراءة الثانية في القراءة التي تقوم بها علوم العمران[53]، وهي:

القاعدة الأولى:التكامل بين الاستقراء والاستنباط في المنهج المركب في دراسة مختلف الظواهر، لسنا هنا نأتي ببدع في المنهج، طرحت هذه الفكرة في فلسفة العلوم المعاصرة عن إمكانية الجمع بين الاستقراء والاستنباط في دراسة الظواهر العلمية، من المعلوم، كيف سدد كارل بوبر نقدا صارما لفكرة أن العلم تطور باستخدام المنهج الاستقرائي، الذي وضع قواعده فرانسيس بيكون[54]، وأثبت أن العلم يتطور عن طريق معيار القابلية للتكذيب،" ما يطبع العلوم التجريبية حسب رأي جد شائع، لا نشاطر فيه، هو ما يسمى بالطرق الاستقرائية، ويصبح منطق البحث، وفق هذا الرأي ، التحليل المنطقي لهذه الطرق الاستقرائية"[55].

من هذا المنطلق، يصبح الاستقراء الذي تغنت به العلوم في المجال التداولي الغربي، لا يعتبر شرطا وحيدا لإنتاج المعرفة في هذه العلوم، فبإمكاننا في علوم العمران أن نوظف الاستقراء، من خلال دراسات جزئية تمس مختلف الظواهر العمرانية والثقافية والاجتماعية،كما نوظف المنهج الاستنباطي،

---

[52] لؤي الصافي. إعمال العقل من النظرة التجزئية إلى الرؤية التكاملية، دمشق: دار الفكر، 1998، ص298.

[53] عبد الحليم مهورباشة، الإنسان والعمران: المتطبات المعرفية والمنهجية لتأسيس علم العمران، في كتاب: علم الاجتماع وسؤال الاقلمة، منشورات مركز ابن خلدون، جامعة قطر، 2021.

[54] أنظر: فرانسيس بيكون ، الأرجانون الجديد، إرشادات صادقة في فهم الطبيعة، ترجمة: عادل مصطفى، مصر: دار رؤية، 2018.

[55] كارل بوبر، منطق البحث العلمي، ترجمة: محمد البغدادي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2006، ص63.

الذي تكون مقدماته الأساسية مستنبطة من علوم الوحي، وهنا نحقق نوعا من التكامل بين الجزئي و الكلي في دراسة مختلف الظواهر.

القاعدة الثانية: التكامل بين التقريري والمعياري في المنهج المركب، إذا كانت العلوم في المجال التداولي الغربي، هيمنت عليه الرؤية الوضعية للظواهر الاجتماعية، فان التكامل المعرفي بين العلوم لا ينفي البعد الوضعي للظواهر، وإمكانية دراستها بتطبيق المنهج الاستقرائي، واستخدام مختلف الأدوات والتقنيات المنهجية المعاصرة، لكن لا يتوقف عند مرحلة الوصف (منهجية التشيؤ)، وإنما يتعداها إلى مرحلة الإصلاح (منهجية الخلق)، عن طريق الرؤية المعيارية للظواهر العمرانية، هنا، ليس شرطا أن نكرر تلك المقولات التي ترى أن المعرفة تدرس ما هو كائن فقط، التي انطبعت بها العقول الغربية، فإننا في النموذج المعرفي الإسلامي ، نجمع بين دراسة ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، هنا، نوعا من المعيارية التي نحكم من خلالها على صوابية الظواهر العمرانية،" فالمسألة ليست مسألة تعارض وتقابل بقدر ما هي المسألة تكامل، بمعنى هناك تلازما وتكاملا بين البحث الوصفي التقريري وبين البحث التقويمي المعياري، فالمنهج الإسلامي منهج وصفي تقريري أولا ومعياري قيمي ثانيا"[56].

القاعدة الثالثة: التكامل بين السببي و التأويلي في تفسير الظواهر الاجتماعية والعمرانية والثقافية، بناء على التكامل بين الدراسة الوصفية والمعيارية في دراسة مختلف الظواهر، فإن تفسيرها يكون وفق عدة مستويات، متداخلة ومتكاملة، طبعا ليس القصد من البعد التكاملي في عملية التفسير العودة إلى الثنائية الكلاسيكية الشهيرة (الفهم والتفسير) في العلوم الاجتماعية، فننتصر للفهم على التفسير، بالعكس، نرى أن الرؤية التكاملية تقتضي دوائر تفسيرية تستوعب بعضها البعض، يأتي في أدناها تفسير الظواهر العمرانية من خلال مسبباتها، "فكل تفسير يسعى إلى الوضوح، فان التفسير المعقول مهما بلغ وضوحه لا يمكن أن يدعي لنفسه بوصفه كذلك. ومن أجل سمة الوضوح أن يكون: أيضا

[56] محمد امزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، هرندن- فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط4، 2008، 361.

التفسير السببي صحيح. لأنه يكون في حد ذاته دائما افتراضا دلاليا واضحا بصورة خاصة "[57]، نرتقي بعدها في التفسير إلى مرتبة التأويل العلمي للظواهر، يكون هذا التأويل محكوم بمدى اتساقها مع منظومة القيم الإسلامية، كما أن تأويلها لا يتم إلا بالاستعانة بعلوم الوحي.

4- التكامل المعرفي بين علوم الوحي و علوم العمران على مستوى الممارسات البحثية:

يعتبر التكامل المعرفي بين العلوم على مستوى الممارسات البحثية أحد أبرز الآليات الإجرائية التي ننزل بها التكامل من مستوى التنظير إلى مستوى الممارسة الاجرائية، فكما نعلم، تلعب الجماعات العلمية دورا في تطوير الممارسات البحثية في علم ما، والقصد من الجامعة العلمية: "يعني أولا أن تنتمي إلى نسق اجتماعي: مؤسسة محددة، يمكن تمييزها عن بقية المؤسسات.ويعني ثانيا: ان يتم اختيارك وإدماجك في نسق يقم فاعلوه علاقات ترابط وفق طرائق تتوافق مع مبادئ معيارية مخصوصة"[58].

يساعد تكوين الجماعات العليمة في الجامعات العربية، شرط أن ينتمي إليها باحثون من تخصصات علوم العمران وعلوم الوحي في دراسة مختلف الظواهر العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، فهناك اليوم أطروحات في فلسفة العلوم المعاصرة تدعو إلى تجاوز النزعة التخصصية بين العلوم عند دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية والحضارية، فبراديغم التركيب الذي دعى اليه ادغار موران، يقوم على مبدأ التداخل بين العلوم، ويدعو إلى ضرورة تجاوز التخصصات المفرطة داخل منظومة العلوم، رغم ما حققته النزعة التخصصية من نتائج عملية، وما حققته من تقدم علمي، لكن هذا التقدم أسفر بالمقابل عن تراجع خطير في المعرفة بسبب أن التخصص يلغي السياق ولا يولي أدنى اهتمام للشموليات والمركبات[59].

---

[57]ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة: صلاح هلال، مصر: المركز القومي للترجمة، 2011، ص35.

[58] ميشال دوبرا، علم الاجتماع العلوم، ترجمة: سعود مولى، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2008، ص113.

[59]ادغار موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة: احمد القوصوار، ومنير الحجوجي،ط1. المغرب: دار توبقال، 2004.، ص37.

يساهم إطلاق المشاريع البحثية المشتركة في تلاقح التخصصات التي تنتمي إلى علوم الوحي وعلوم العمران، ويؤسس لأولى خطوات التكامل المعرفي في الجامعات العربية، فكل تخصص يكمل النقص المعرفي الذي يعاني منه التخصص القريب منه، فمثلا عند دراسة الأسرة، يمكننا إشراك الباحثين في علوم العمران كعلم الاجتماع وعلم النفس، وكلك إشراك الباحثين في علوم الوحي كعلم الفقه وأصوله، وبهذا نتمكن من تقديم دراسة متكاملة حول الأسرة، ونطبق في هذا النوع من المشاريع البحثية المنهج المركب الذي اشرنا إليه سابقا، كما يمكن لهذا التعاون العلمي أن تثمر عنه مفاهيم ومقولات جديدة،" إن عولمة العلوم الاجتماعية تشجع على التقارب بين تخصصات العلوم الاجتماعية بما يتخطى تعدد التخصصات او تداخل التخصصات اللذين حظيا بما يكفي من الإشادة"[60].

خاتمة:

إن أهم النتائج التي خلصنا إليها في هذه الورقة البحثية نوجزها في مجموع النقاط الآتية:

- التكامل المعرفي بين العلوم يقصد به التعاون المنهجي والمعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران في دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية، ولا يقصد به توحيد العلوم، أي إلغاء التخصصات المعرفية ودمجها في بعض، وإنما تأسيس أرضيات ابستيمية مشتركة بغرض الفهم العلمي للظواهر الاجتماعية والعمرانية والدينية.

- تعتبر الفلسفة الائتمانية بمبادئها الثلاثة(الشهادة، الأمانة، التزكية) بمثابة الإطار الفلسفي المرجعي الذي يتأسس عليه التكامل المعرفي بين علوم الوحي والعلوم العمران، لأننا إذا اعتمدنا الفلسفات العلمانية الغربية، فانه لا يمكننا أن نؤسس لعلاقة تكامل بين العلوم، فتقوم هذه الفلسفات العلمانية على فكرة استعباد الدين وعلومه من فضاءات المعرفة، بينما نحن نطمح إلى إعادة الوصل بين علوم الوحي وعلوم العمران.

[60]التحول العولمي للعلوم الاجتماعية، إشراف: الان كابيه وستيفان دوفو، ترجمة: جان ماجد فخور، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، 2017، ص327

- يعتبر النموذج المعرفي الإسلامي بمقدمته المعرفية المركزية ممثلة في التوحيد، بمثابة الناظم المنهجي للتكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العمران، والذي تتأس عليه العديد المبادئ، كتعددية مصادر المعرفة، ومبدأ أخلاقية العلوم، والإسهام علوم العمران وعلوم الوحي في تحقيق الاستخلاف والعمران.

- يتجلى التكامل المعرفي بين علوم العمران وعلوم الوحي في أربعة مستويات كبرى، أولها على مستوى الرؤية إلى العالم، حيث تعتبر الرؤية التوحيدية المستوى الأول للتكامل المعرفي، والمستوى الثاني في المنهج المركب الذي تتكامل فيه قراءة الوحي وقراءة الوجود، وثالثا التكامل المعرفي على مستوى الممارسات البحثية، حيث يمكن للباحثين من علوم الوحي وعلوم العمران إنجاز مشاريع بحثية مشتركة.